غزة مشعل الامل الباسل الذي لا يقهر

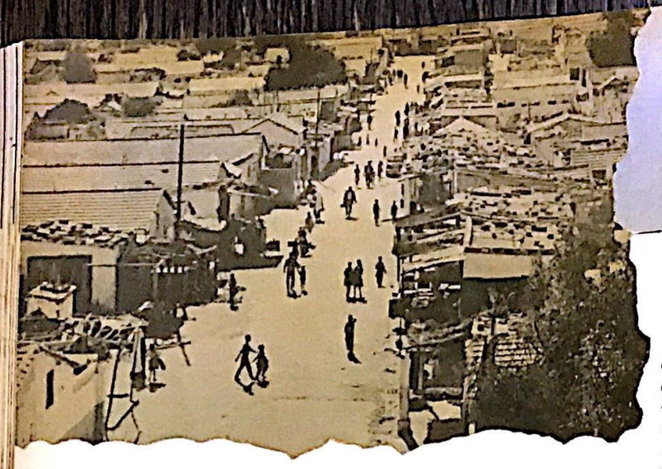

وسط فحيح تيار التراجع تقف غزة في طليعة الامل الباسل الذي يشير بلا تعب ولا كل الى القدرات غير المحدودة للجماهير ، وفي حين تعلو اصوات التخاذل والاستسلام تظل غزة ابرز من يقول كل يوم ، عبر العنف الثوري ، لا . وتكريما لهذا الصمود تعد ((جمعية السيدات العربيات للاعلام)) ، و ((جمعية الخامس من حزيران)) ، وعدد من الجمعيات والمؤسسات الاخرى ، اسبوعا لغزة ، يجري خلاله عرض صور ووثائق ومقالات عن النضال البطولي الذي لم يهدأ طيلة ٤ سنوات في القطاع البطل .

وفيما يلي تقدم ((الهدف)) دون تعليق سلسلة من الشهادات وردت في الصحف الاسرائيلية والغربية ، تعكس في مجملها صورة من صور بطولات القطاع وبسالته .

كتب ((دورن روزنبلوم)) في ملحق ((دافار)) يوم ٢٦ آذار الماضي يصف الوضع في قطاع غزة تحت عنوان ((غزة ـ المدينة المعادية ـ)) قائلا :

((غزة هي مدينة معادية ، بل ان القطاع كله لا يحبنا ، فلا تساورن الاوهام احدا ، ذلك يمكن رؤيته فورا ، حتى عند الحاجز : فالعرب الفزبون الثلاثة ليس ثمة ما يدعوهم الى استلطاف الشرطي العسكري الذي ((يبحبش)) في «صندوق العفش» لسياراتهم الهزيلة ويرغمهم على اخراج كل الخرق التي جلبوها من الخارج ونثرها على الرمل . اما المرأة التي كانت تسافر معهم فاخذتها الشرطية الى كوخ لتفتيشها ونثر خرقها واكتشاف اي شيء مشكوك فيه ، والاطفال الصغار الذين سقوا الحديقة عند الحاجز سألوا الخواجا الشاويش كيف يقلقون الحنفية .. وما العمل وقد انقضت اربع سنوات تقريبا ، والامور غير منتظمة مثل اي مكان اخر ؟

انقضت اربع سنوات وما زال قائما شعور بعمل معين عند الانتقال الى ((الجانب الاخر)) والى الازقة حيث يقذفون القنابل اليدوية ويقتلون باستمرار ، لقد كتبوا عن ذلك في الصحف ، وفي الصحف لا يبالغون ، فالعكس هو الصحيح .

قد يكون من الافضل لنا ان نجلس ونعتقد ان الزمن يشفي كل شيء .. فها هي اربع سنوات مرت . ولكن لا . فالكراهية لا تتعب . ويبدوكان القنابل اليدوية والاسلحة تدفق من مخازن لا تنضب . وكل شيء يجري بصورة احسن من يوم ليوم . ومصاعب الامس هي ((خرابيط)) اليوم، ولكن الامور تجري في هذه الايام ، من غير الممكن القول ((هنا قذفت قنبلة يدوية)) فليس معروفا ابن تسقط القنبلة اليدوية التالية :

هذه هي ، على الاقل ، صورة غزة والقطاع ، غير ان الواقع دوما يختلف ، مثل الخوف . ثمة حقائق : زقاق ، شمس ، اناس يثيرون خوفا اقل مما يبدو عليهم . ان القطاع لا يحبنا ابدا ولكنه حقول خضراء ، وطرق رحبة ، ومدينة ذات شارع رئيسي ، وسيارات ، واناس ينظرون بكراهية .

والواقع ليس هو ما نفكر به ، انه اكثر دقة ، وثمة حقائق : كل المخربين تقريبا العاملين في القطاع يلقى عليهم القبض في نهاية الامر ، ولكن السؤال هو متى تكون النهاية ؟ يمكن القول ان الجيش الاسرائيلي قد احرز نجاحا في نشاطه في هذا المجال .. ولكن لا يمكن قياس ذلك الا اذا عدنا الحوادث واحدا واحدا ، واحصينا كم من القائمين بها القي القبض عليهم بعد قيامهم بالعمل فاننا لم ننجح في تحييد الخلفية التي تؤدي بالاشخاص الى الانضمام الى منظمات التخريب ، ويمكن القول بتاكيد اكبر اننا لم ننجح في خلق الدوافع المعارضة للدوافع التي تؤدي بسكان كثيرين جدا الى الانضمام للنشاط الارهابي .

... ان سكان غزة لا يبتسمون ، ولا يتملقون، ولا يبيعون مثل اخوانهم في الضفة ، انهم منضبطون وصامتون : انتم محتلون ونحن تحت الاحتلال . ولسنا نحن فقط . لهذا سنركبكم . انهم لا يكرهوننا شخصيا وبصورة خاصة .. بل يكرهوننا ـ مع ان ذلك ليس مسموحا ـ كما يجب . ومن يقول انه « راى الكراهية في عيونهم » فلا تصدقوه ، فليس في عيونهم كراهية : انهم كما هم حقيقيون ، وهذا ما يجعلهم ـ وكذلك قضاياهم والقضية عموما ـ اكثر تعقيدا وتهديدا .

ولقد نجولنا في مخيمات اللاجئين التي يتصور الكثيرون انها ملاجيء مريحة للمخربين . ففيها تجري اعمال القتل والحوادث الكثيرة جدا ، ولهذا فهي مشهورة ..

وفي الجدران العالية والطويلة ابواب صغيرة من الصفيح ، كلها مغلقة . وهنا وهناك ساحة صغيرة فيها حنفية ماء وحولها اولاد فقدرون لا يضحكون ابدا . بل على العكس انهم يتطلعون الى الوافدين عليهم ، من الزقاق الابيض في خوف مكتوم ، وامهاتهم تسرعن لادخالهم الى البيت .

وفي احد الازقة الغيتابدورية المشاة ،يناقدها مصوبة نحو الجدران ، ونحو الاولاد والنساء الذين لا يسخرون ولا يتفوهون بشيء ، ولكنهم لا يقولون تحية ((شالوم)) كما يجب ـ في راينا نحن نستحق ذلك .))

ويواصل كاتب المقال كلامه :

((اربع سنوات انقضت ، وكان ذلك كان بالامس . المدينة منطوية على نفسها ، هادئة ، والجنود المسلحون يجوبون الشارع الرئيسي ، والازقة مسدودة بحجارة الاسمنت لمنع هرب من يلقي قنبلة ـ مثلما فعل البريطانيون .

ومن الخطا الاعتقاد ـ كما هو متبع ـ ان حياة سكان غزة كانت صعبة في عهد المصريين ، او ان المصريين استغلوهم واضطهدوهم . الحقيقة هي ان الفزبين عشية حرب حزيران كانوا في افضل وضع عرفوه . ربما يكون وضع العمال اليوم احسن ، ولكن الاسعار في غزة هي نفس الاسعار في اسرائيل ، بينما الفرق في الدخل هو بنسبة 1 الى ١١ .

وفي مجال الثقافة عمل المصريون الكثير ومنحوا ابناء غزة ما يمكن ان يكون ، حتى بالنسبة لنا ، حلما : الثقافة المجانية ويضمنها الدراسة الثانوية والجامعية لمن يستحق ذلك .. ولقد اشغلت الدراسة الشباب وكانت حافزا لهم ومكنت ابناء الفلاحين من احراز القاب اكاديمية، والوف الشباب كانوا يسافرون ، سنويا ، الى جامعات مصر . اما اليوم فان غزة مليئة بخريجي المدارس الثانوية الذين تتشابك ماساتهم القومية بماساتهم الشخصية . وفي خلال السنوات الاربع صار في غزة ١٥ الف خريج من المدارس الثانوية لا يعرفون ماذا يفعلون)) .

ويختتم كاتب المقال مقالته :

((ان شخصيتنا في عيون مواطني غزة سلبية جدا ، ولايجب تطوير الاوهام ، وما دمنا لطيفين ومؤدبين فلن يفيدنا ذلك ، انهم لن يحبونا .ولمة من يوجه الانتقاد لتصرفاتنا ، اذا نحن جمعنا مخيم لاجئين باكمله وارغمنا سكانه كلهم على الجلوس ساعات طويلة في المطر والشمس من اجل التشخيص والتحقيق ، فان ذلك ليس لطيفا ابدا مهما نفسر لهم ـ ولو مئة مرة ـ ان الامر ضروري ويجب ان يسمحوا لنا . ان الاولاد الصغار ، واولاد اللاجئين على وجه الخصوص، ما زالوا حتى اليوم يصرخون خوفا وفزعا حينما يرون جنديا اسرائيليا يقترب منهم)) .

حوار في الكنيست

■ قالت صحيفة معاريف في ٢١ ـ ١ ـ ١٩٧١ :

((ثارت العاصفة الكبيرة عندما حاول النائب ((ماير فلنر)) من ((راكاح)) ان يأتي على ذكر ما يجري في قطاع غزة ، مع تنديد قاس بحرس الحدود وقوات الامن بسبب الاسلوب الذي يحافظون النظام به في القطاع الذي يغلي .

وصرخ فلنر : ((بالطبع ان مجرد الاستيلاء يمنع الوصول الى تسوية سياسية وسلام ، والاستيطان عند مشارف رفح في نظره يهدي الى خلق وضع راهن فيما يتعلق بوضع قطاع غزة، وبحسب رأيه فان رافعي اللافتات التي تقول : ((بسقط الاستيطان)) هم الوطنيون الحقيقيون لشعبنا (اي شعب اسرائيل) .

واستنكر فلنر ايضا بتاثر اعمال التعذيب الوحشية التي تنفذ حاليا ضد جماهير المواطنين في قطاع غزة ، ان حادثة قتل الولدين اليهوديين المثيرة تستغل الان سياسيا لاعداد القطاع للقمع. ولقد اثارت هذه الاقوال فورا موجة مقاطعات في القاعة من بين صفوف كافة الكتل .

ولكن فلنر اضاف : ((في هذا الوقت تتفاعل بشعة كاطلاق نار على نساء واطفال)) . وهنا طلب منه الرئيس يبيي الالتزام بالموضوع وعدم التشويش ، ولكن فلنر تابع : ((لقد ادخلوا الى القطاع حرس الحدود الذي يقوم بالاعمال التي رفض الجيش القيام بها)) .

وغرقت اقوال فلنر في بحر من المقاطعات الغاضبة ، وصرخ النائب مردخاي سوركيس باتجاهه : ((انك تحرض ، انك تعيش هنا بفضل حرس الحدود . كان يجب ان تتركوا لقمة سائغة لعرب غزة)) .

وهب النائب توفيق طوبي (راكاح) العربي لمساعدة رفيقه ((فلنر)) : ((لن تنطوا الاعصال البشعة)) .

وعاد فيلنر فاكد : ((ان حرس الحدود يطلقون النار على النساء والاطفال)) .

رد سوركيس : ((انك كذاب خطير)) .

وطالب الرئيس م . بيبي من سوركيس وطوبي معا الذين تبادلا كيل ((التحيات)) فيما بينهما والتي استحال سماعها بسبب الصراخ الرافع ـ طالبهما بالمحافظة على النظام .

لم يتوقف طوبي : ((ان فيلنر يقول الحقيقة، سيقول لكم ماذا يفعلون في القطاع)) .

ساله النائب عوزي فينير من (مزراح) : ((عن اي حقيقة تتحدث ؟ حقيقة على غرار موسكو ؟)) .

وحاول فيلنر الاستمرار في حديثه : ((ان مواطنين اسرائيليين موجودين في القطاع، يتحفظون ازاء اعمال حرس الحدود هناك ، لهذا خرق خطير لميثاق جنيف)) .

ـ النائب ع . فينير من : ((ليس الى حد ان في غزة ينهم جنودي حيش الدفاع الاسرائيلي

ـ النائبة استر رؤبئيل ـ ناور (جاحال) : ((لا حرس الحدود ايضا)) .

ـ م . فيلنر : ((يجب تشكيل لجنة تحقيق برئاسة قاض فورا الى القطاع وتوقف الاعمال البشعة هناك ، ان ما يفعلونه الان هناك عار)) .

ـ النائب ع . فينير من : ((ان العار هو ما نسمعه اليوم من فمك)) .

وهنا وصل دور النائب اوري افنيري ليتابع من حيث توقف فيلنر ، ولكن بتعابير اكثر اعتدالا ، ادعى افنيري في مهاجمته ايضا ارسال حرس الحدود الى القطاع : ((ان ما لا يريد جزء جيش الدفاع الاسرائيلي تنفيذه ، يبعثون برجال حرس الحدود لتنفيذه ، وها آن وزير الدفاع قد قال في حيفا ان جنود جيش الدفاع الاسرائيلي غير مستعدين ان ينفذوا هذه الاعمال، ولذلك ارسلوا الى هناك حرس الحدود . ان هذا السلاح شيء اخرا تماما . هناك معاملة وحشية تجاه مواطنين ابرياء . ان رجال حرس الحدود يضربون الغادين والرائحين ساعة ساعة، وحتى انهم يجلدونهم بالسياط . ولا يجوز امكان هذه الاعمال في الكنيست)) .

وارعب النائب مناحم بيجن عن رأيه : ((اعتقد ان علي وزير الزراعة ان يصعد الى المنبر ويعتذر عن شرف رجال حرس الحدود الذين ابنوا اليوم مرتين (من قبل فيلنر وافنيري)) .

شهادات صريحة

((لاحظ جنودنا اليوم فتاة تسير بين جمع كبير من الناس لم توح هيأتها اليهم بالثقة ولما بعد الفتاة الى الهرب اطلقوا النار عليها فقتلوها))

■ الجروسالم بوست في ٢٣ ـ ١٠ ـ ١٩٧٠ ■

((وضع نظام جديد لمنع التجول في غزة اليوم في الساعة السادسة والنصف مساء الى الرابعة صباحا . لذلك فان الصيادين الذين يعملون في الليل مجبرين على البقاء في البحر طيلة الليل)) .

■ الجروسالم بوست ١٣ ـ ٢ ـ ١٩٧٠ ■

((صرح ناطق عسكري اسرائيلي بان الجنود الاسرائيليين اطلقوا النار في اتجاه شخص مشتبه به عند الى الهرب فقتلوا ولدا عمره ١٤ سنة كان واقفا قرب مكان الحادث وجرحوا ثلاثة اشخاص)) .

■ وكالة أ . ب ١٥ ـ ٢ ـ ١٩٧٠ ■

((لم يستجب شيخ في الثانية والستين من العمر لنداء الجنود بالوقوف في وقت منع التجول فاطلقت النار عليه وقتل حالا)) .

■ رويتر في ٣١ ـ ٥ ـ ١٩٧٠ ■

وقالت « الاتحاد » في ١٢ ـ ١ ـ ١٩٧١ :

((الاضراب الشامل الذي اعلنه اهالي غزة الصامدون منذ اربعة أيام ما زال مستمرا ، الحوانيت مغلقة ، والمدارس خالية من اي صوت، والشوارع متوترة كالاعصاب المشدودة ،ودوريات العتين في حركة دائمة ، ونشرت صحف امس الفجر) الى المدينة ووضعها تحت امرة القائد العسكري للقطاع ، ((لنجاح)) هذه القوات في قمع المظاهرات والمقاومة في الضفة الغربية المحتلة))

وجاء في الانباء ان قوات الاحتلال ما زالت تقوم بعمليات الملاحقة والتفتيش في مخيمات اللاجئين الفلسطينيين ، وما زال مخيم ((الشاطيء)) تحت حظر التجول منذ اكثر من اسبوع .

ولقد اعلن في الايام الاخيرة عن اصابة ١٦ شخصا في غزة بينهم جنودي اسرائيلي والاخرون

٨ مخربين ، واعتقل ٩٨ مخربا ، كما عثر في مخيم الشاطيء ، خلال التفتيش الذي جرى لمدة ٤ اسابيع (حيث كان منع التجول مفروضا على المخيم) بعض المعدات والاسلحة ، كما وجدت خنادق .

وقد وصف ابرام الامر الذي يمنع خروج السكان من مخيمات اللاجئين ، الا لقضاء حاجياتهم الضرورية ، مثل العمل أو الدراسة او ما شابه ، بانه علاج جذري ، وقال ان هذا الامر سيمنع تجول الشبيبة التي هي مصدر هام لنشاط المخربين .

ويقول العقيد ابيرام ردا على سؤال اخر ان ٢٧ عائلة (١٦٤ نسمة) نقلت الى سيناء خلال الاشهر الاخيرة بسبب مساعدة لمخربين والتستر عليهم ، وفي كل عائلة من هذه العائلات رجل واحد على الاقل ، ومن هذه العائلات عائلة مخرب قتل وعائلتا مخربين تم القبض عليهما .

وهناك شكاوي كثيرة لاهالي القطاع شعرنا بها خلال زيارتنا لاحد معسكرات اللاجئين وهو معسكر الشاطيء ، وقدقابلنا المئات بل الالاف من الاطفال والنساء والشباب الذين اشاروا الى ايديهم والى رؤوسهم وارادوا ان يشتوا لنا باللغة العربية كيف ضربهم الجنود الاسرائيليون وجرحوهم وسرقوا اموالهم ، وقد رفعت احدى النساء طفلها على ذراعها ووصفت امام احد الصحفيين الذي كان يقف بجانبها كيف كسر الجنود راس ابنها وقال اخرون كيف ان الجنود سرقوا ٢٠٠ ليرة من بينهم ، وكانت هناك قصص عن الدمار والتخريب)) .

صحف الغرب

■ وقالت « الاكسبرس » الفرنسية في عددها الذي صدر في ٢٤ / ٣٠ آب ١٩٧٠ ما يلي :

((شارع خال من المارة والسيارات ، تحيط به طرقات مقفلة بالحواجز ويقوم بحراسته شرطة مسلحون حيث لا شيء يلوح في الجو سوى الخوف والرعب : هذه هي غزة ، ساحة معركة ، وعاصمة للياس .

ما من احد يتمشى في غزة ، ان الناس هنا يهرولون قاصدين منازلهم او مراكز اعمالهم وخلف واجهات المحلات التي تحرفها اشعة الشمس وراء الاسواق الكئيبة والاكواخ البيضاء ، يكمن التهديد الدائم والرعب الحقيقي . لقد استقر هنا الصمت والفراغ . فاصحاب المحلات يغلقون ابوابهم مستبقين امر منع التجول بنحو سبع ساعات ، والنسوة ينادين اولادهن ليلتجئوا الى الاكواخ المبنية من اجل ٢٥٠،٠٠٠ نسمة بينما هي تاوي عشرة اضعاف هذا العدد .

وشعور بالحقد يسود مخيمات اللاجئين التي يزيد فيها عدد الذين هم ما دون الثامنة عشرة على نصف عدد السكان)) .

■ وقالت « الفجر » اللندنية في ١٦ اذار ١٩٧٠ :

((هنا في غزة تقوم فرق مؤلفة من ثلاثة او اربعة جنود باعمال الحراسة ، وهم يحدقون بالسطوح والطرقات باستمرار بحثا عن اشخاص قد يقومون فجاة بهجماتهم ، وتعر السيارات المحملة بالجنود بسرعة في الشوارع الرئيسية لتتجنب ان يرمي احد بقنبلة عليها .

اما السوق الذي كان يعج بالحياة فقد بدا الان يقفل ابوابه عند العصر حيث يسرع التجار الذين لا يحققون الا جزءا قليلا من الارباح التي كانوا يحققونها قبل الاحتلال ، لاقفال محلاتهم خوف الاحتجاز فيها بسبب حوادث اطلاق نار مفاجئة .

وبحلول الساعة الثالثة بعد الظهر ، يصبح شارع عمر المختار ، وهو الشارع الرئيسي الذي اطلق عليه الاسم تيمنا بذكرى زعيم المقاومة الليبي ، مهجورا الا من الدوريات الاسرائيلية وبعض السيارات او الباصات المدنية المليئة بجنود اسرائيليين عائدين من سيناء ، بالاضافة الى ذلك فقد فرض على المدينة نظام منع التجول ابتداء من الثامنة مساء وحتى بزوغ الفجر ، ذلك طوال السنة الماضية .

لقد تسبب الاحتلال في غزة بمشاكل اقتصادية واجتماعية هائلة تخلق بحد ذاتها لدى المواطنين شعورا باليأس والقنوط خاصة وان نصف سكان المخيمات المقدرين بـ ٦٠ بالمئة من مجموع سكان قطاع غزة يواجهون مصاعب كبيرة على كل صعيد.

واستنادا الى تقارير من (الاونروا) فان المئتي الف فلسطيني الذين لجأوا الى القطاع عام ١٩٤٨ اصبحوا يشكلون عبئا اقتصاديا كبيرا على المنطقة ، كما ان التقديرات الاقتصادية تعترف بان المنطقة لا تستطيع ان تستوعب اكثر من ربع عدد السكان الذين يعيشون فيها)) .

■ وقالت « اللايف » الاميركية في ٢٢ حزيران ١٩٧٠ ما يلي :

((هناك نحو ٣٦٠،٠٠٠ عربي فلسطيني يعيشون في غزة اليوم بينهم ٢٠٠،٠٠٠ من اللاجئين ، ان امكنة السكن الموجودة حاليا لا تكفي لايواء هذا العدد الكبير ، كما انه ليست هناك اعمال كافية لهم وانهم على مشارف اليأس ، بشكلون مجموعة من اليأس على وشك الانفجار حتى انه طوال اشهر عدة لم يكن بالامكان السيطرة عليهم .

ان القنابل هنا توجه دوما نحو الجنود الاسرائيليين بشكل خاص وعلى المواطنين العرب الذين يعملون في اسرائيل احيانا ، اذ انهم يعتبرون خونة ـ ان الجنود في كل مكان وعند اقل حركة تثير بحدوث مشاكل يندلع رشاش الرصاص بتر عبر ساحة المدينة .

اما غزة التي كنا نعرفها قبل حرب ١٩٦٧ فقد كانت مدينة مزدهرة يتجمع السياح على شواطئها كما ياتي اليها المعربون ليتسوقوا من محلاتها التي كانت تعفى بضائعها من الرسوم الجمركية.

اما الان فالمحلات مقفلة ، والفنادق والمقاهي خالية من روادها . وكل من يفكر في السير ليلا يعرض نفسه للقتل ... لقد هدمت مئات المنازل في قطاع غزة ، وعند المنعطفات تقف النساء باكيات)) .